مَلَامِحُ الخِلَافِ وَالوِفَاقِ
بَيْنَ السَّلَفِيَّةِ وَالأَشْعَرِيَّةِ

للشيخ:

معاذ إحسان العتيبي

~أبو البِشْر~

هذا الملف عبارة عن تفريغِ لقاءٍ للشيخ معاذ حفظه الله -من غير سابقِ ترتيب- وذلك يوم الأربعاء الموافِق ٢٠٢٠/٩/٣٠م، وقد فرَّغتُهُ وأضفتُ إليهِ ما يُناسبُ المَقام، واعتنيتُ به بعد مراجعته.

اعتنى به:

إسماعيل إبراهيم الزين

بسم الله الرحمن الرحيم

~ محاور اللقاء ~

١. نعي شيخين فاضلين .

٢. هل يلزم من الخلاف العقدي = ضياع الأدب والمروءة؟

٣. مواقف الأئمة القدوات عند الخلاف.

٤. دفع بعضِ الشُبه والاتهامات المنسوبة لبعض العلماء.

٥. التلازم بين المذهبية والعقيدة المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة.

٦. هل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هو من أسّس العقيدة السلفية؟

٧. التوصية بمجموعة من المؤلفات المتميزة في التحرير العقدي.

٨. مواقف تعكس أدب العلماء وإنصافهم.

٩. تقديم بعض التوصيات والنصائح والإرشادات في التعامل مع أهل العلم والعلماء.

الحمد لله الذي زين قلوب أوليائه بأنوار الوِفاق، وألزم قلوب الخائفين الوجَل والإشفاق، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين ...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

جعل الله أوقاتكم مليئةً بالمسرات والخيرات، وأسأل الله ﷻ أن يجعل هذه الكلمات في ميزان حسناتنا أجمعين...

بادئ ذي بدء في هذا المقام أنتَهِزُ الفرصةَ في الترحّم على عالمين فاضلين: **الدكتور نور الدين عنتر** رحمه الله وكان إماماً محدثاً عالماً مُعلماً، وهو رجل استفاد منه القاصي والداني، وكان عالماً بحقٍّ محرراً لعلم الحديث ومحرراً للمسائل. وأنا منذ خمسة عشرة سنة عندما أجِدُ من المصنفات أو المؤلفات الحديثية **اسمَه** رحمه الله عليها فإنّي أُسارع إلى اقتنائها، ودائماً أفضّله في تحقيقاته عن غيره، **فرحمه الله رحمةً واسعة**.

وأيضاً شيخنا **الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق** رحمه الله، الذي وافته المنية منذ أيّام، وهو مُجدد الدعوة السلفية، وله جهودٌ مباركةٌ لا يُنكِرُ أثرها إلّا جاحد، أسأل الله ﷻ أن يجمعنا وإياه وجميع من توفي في الفردوس الأعلى.

هذه السطور والكلمات إنما هي حديثٌ ودردشةٌ من القلب للقلب، فثمة مواضع متعددة. أحببت الحديث عنها –وهي مواضيع حساسة– أتحدث عنها للوصول إلى نقطة **اتفاق أو افتراق** وتوضيحها.

حديث الليلة متعلقٌ بمسألةٍ انتشرت مؤخراً، وبدأت تأخذ جزءً كبيراً من تفكيرِ شباب الأمّة وطلبة العلم، وأحببتُ التحاورَ معكم حول هذا الموضوع، بأن أستمع إليكم وأستفيد منكم، وأطرح ما لدي من خواطر حولَ ملفٍ مُعاصرٍ وهو ما يُسمى بملفِ **السلفية** وملفِ **الأشعرية**.

أجد أنّ هذه فرصة للحديث عن النزاع والخلاف الحاصل، وتجاذب الأطراف وترامِيها، وخاصةً بين الأطراف السلفية والأشعرية، وهذا النزاع والتجاذب حصل ويحصل وأظن أنّ هذا متكرر ويبقى يتكرر إلى أن يشاء الله ﷻ ، ولا مخرج منه ما لم يكن هنالك **علمٌ مُحَرَّرٌ مُفيدٌ، وإحسانُ ظنٍ، وَفَهْمٌ للمسائلِ بطريقةٍ صحيحةٍ على وَجهٍ يُحبّه الله** ﷻ ويرضاه، وما لم يكن **إنصافٌ عظيم ومروءة** تدل على شرفِ الخلاف والاختلاف، وعلى شرف الخصومة إن وصل الأمر إلى حد الخصومة.

الذي يحصل الآن أن من التنازع العقدي يكون **بوابةً لكل شر**، ويكون بوابةً إلى **الفتن**، ويكون بوابةً إلى **اتهامٍ في النيّات** والطَّعنِ فيها، ويكون بوابةً أيضاً في الطعن في **الأعراض**، ويكون أيضاً بوابةً إلى **تصفية الحسابات**.

إنّ الله ﷻ حثّ على التآلف والاتفاق ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ **جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ** وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ **فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا** وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمرن: ١٠٣]، **وإن لم يكن** هنالك اتفاق فإنّه ﷻ لا يحب النزاع، وخاصةً إذا صَحِب شرّاً وأذىً ومسبّةً أو غير ذلك. فالله ﷻ كما أنّه يُحبُّ التآلفَ والوِفاق، فإنّه يُحبّ كذلك إذا حصل تنازع بين اثنين ونزاعٌ بين زوجين أن يكون هناك **تصالحٌ وتحاكمٌ** ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾ [النساء: ٣٥]، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾ [النساء: ١٢٨]، وأن يكون هناك **ردٌّ بالحُسنى والتحلّي بالأخلاق الفُضلى**، ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

فأريدُ في هذا المقام أن نكون رجالاً بحق في هذا الاختلاف، ونحن في الحقيقة بحاجةٍ إلى **معالجة النوايا ومعالجة القلوب قبل أن نعالج العقائد**، فالإنسان إذا صحّح نيته، وصحّح أدَبَهُ في التعامل والتعاطي في المسائل الخلاف مع الآخرين، فإنه –بإذن الله ﷻ– **سيصل إلى الحق. وإذا لم يصل إلى الحق فإنه سيكون أداةً للوصول إلى الحق. كيف ذلك؟** يكون ذلك من خلال التكسّب من هذا الخلاف بطريقةٍ شرعيةٍ صحيحة.

لذلك حقيقة الاعتراك الدائر دائماً بين السلفيين وبين الأشاعرة أو بين الماتردية أو الصوفية ...الخ، هذه من المصائب التي حلّت بالأمة الإسلامية وما زالت مستمرة، والتي لا تُنتج إلّا مزيداً من الخلاف، ومزيداً من النزاع.

أنا لا أُريد هنا أن أجمع بين رأسين، ولا أن أوفّقَ بين كبشين، **ولا أن أكون الشخص الذي يمسك العصا من الوسط**، فكلُّ المحاولات الدائمة في محاولة مسك العصا من الوسط –أنا أقول:– **إنّها دائماً فاشلة**، وإنها غالباً لا تُؤدي الحق فيما أراه أبداً– لكن أنا أريد في هذا اللقاء أن نصل إلى شيءٍ من **أدب الخلاف**، أن نصل إلى شيءٍ من **أدب المروءة**، أن نصل إلى شيءٍ من **أدب الاختلاف** الذي سَنَّه الله ﷻ وجعله بيننا نحن كبشر.

فمن المآسي ما تجده في الدائرة الخلافية، بأنَّ مجرَّدَ الخلاف يكون سبباً في الكذب على الآخرين، أو أنْ يكون سبباً في الطعن في الآخرين، وهذا شيء لا يحبه الله ﷻ، بل يجلبُ الشيطان، ولا يبث بين المشايخ والطلبة أو التلامذة إلا العداوة والضغينة والبغضاء.

فأنا لا أقول سوى كلمةً: أنَّ **الحقَّ أمرٌ معياريّ** فيما يبدو لكَ (وإن كان في واقع الأمر واحد) فأنت قد تدرس عند شيخ أو عالمٍ، وقد تَلِجُ إلى مَجَالِسِه ودروسِه سنوات طِوال ثمّ بين غمضةِ عينٍ وانتباهتها تستشعر أن هذا الشيخ لم يكن يدلك على

الحق وإلى الصواب، فتَلِج إلى غيره بكل سهولة. وكذلك العكس، وهذه السُّنَّة حقيقةً موجودة دائماً، فالشيء الذي يُمتدح فيه الإنسان في مثل هذا هو أن يراعي وداد الحق. فعليك أن تراعي الودَّ الذي كان بينك وبين شيخك، والود الذي كان بينك وبين صاحبك؛ لأن المسألة أصبحت تتجاوز من مسألةِ الشيخ مع تلميذه إلى الصديقِ مع صديقه والقرينِ مع قرينه. ولذلك إذا أردنا أن نصل إلى نقطة اتفاق لا بد أن تكون هذه الأمور المتعلقة **بالإنصاف والمروءة والعدل والصدق**.

إن المحاولات الأخيرة في **تقرير الأشعري** المُتحامل على السلفية بشتا أطيافها وبعقيدتها هذا شيء مؤلم، ليس مؤلماً كما يتصوره البعض أنه أصبح بعض أوداج السلفية تنتفخ والحمد لله! وأنّ هذا نصراً!، فأنا أقول: إن هذا كلام طفولي، لكن الذي يؤلمني أن هذا التعامد يصل إلى قدرٍ –وللأسف– في التأثيرِ على حياة الإنسان، ففيه تأثيرٌ على المستوى العِلمِي والمستوى العَملي، حتى يصل فيه إلى الطعن في النيات، وإلى أشياء أنتم تعرفونها...، بل وقد يصل تأثيرُهُ على المستوى الوظيفي.

لا يضرك أن تختلف؛ لأن الخلاف سنة موجودة، فلا يضر في ذلك خلاف، ولا يضر أن تصل في وصف مقالتي أنها مقالة "**سلفية**" مقالة "**تخرج عن الجادة**"! أو أنها "**مقالة ضالة**"! أنا بالنسبة لي لا أقول إنها تضرني، لا شك أن تقول إن هذا كلام ضال، وأنا بشكل طبيعي أقول لك وأردّ بالمثل: إن هذا الكلام مضلل، فلا إشكال عندي بهذا الأمر؛ فأنا عندي مسألة العقيدة مسألة أساسية ومحورية ومهمة وعظيمة وتستحق –في تبيان الحق– تستحق تبيان المسائل وتوضيح الدلائل وإقامة حتى المناظرات وتقام فيها كل ما يتعلق بنصرة الطرفين. **وهذا الخطاب ليسَ موجَّهاً للأشعريّ فقط، فكذلك السلفي**.

وأكبر مثال **شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)**رحمه الله، **ومن الخطأ أن يقتصر ذكر شيخ الإسلام السلفي دائماً بالقدر الذي يقرر فيه العقيدة السلفية!** لماذا لا ننظر إلى ابن تيمية المتحاور مع غيره؟!... فأنا في هذه الفترة قرأت كتاباً لأخي محمد براء ياسين كتاب "**محنة الإمام ابن تيمية** رحمه الله"، فهو والله كتابٌ عظيم، وكنت أريد إقامة لقاء مطوّلٍ لمراجعته والحديث عنه عظيم!. فقد تحدث في هذا الكتاب عن شيخ الإسلام رحمه الله قبل المحنة، وتحدث عنه أثناء المحنة، وتحدث عنه ما بعد المحنة، واستوقفتني كلمة عظيمة، قال: كانت العلاقة بين ابن تيمية وبين المتصوفة وكبار المتصوفة –التصوف الصحيح– مثل الجيلاني وعماد الدين الواسطي ومحمد ابن القوام وغيرهم رحمهم الله، كانت العلاقة بينهم **علاقة تبجيلِ وعلاقة احترام وعلاقة تبادل في المسائل والدفاع**، بل إنّ **محمد ابن القوام(٨٢٢هـ)** رحمه الله –وكان رأساً من رؤوس الصوفية آنذاك– قال كلمة عظيمة حقيقة، قال: ما أسلمت معارفنا إلّا على يدي ابن تيمية رحمه الله. **وهذا يصور لنا أثر التقارب السلفي الحقيقي بين الصوفية الصحيحة وبين شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله.

وقد ذكر ابن قاضي الجبل (٧٧١هـ) رحمه الله **–وهو أحد تلامذة شيخ الإسلام– في ردّه على الإخميمي (٧٦٤هـ)** رحمه الله **في كلامه عن أبي الحسن الأشعري (٣٢٤هـ)** رحمه الله:

"وقولُه كانَ أكثرُ تحامله على الأشاعرةِ قولٌ باطلٌ، يعرفُه من له أدنى خبرةٍ بحالِ الشيخِ واطّلاعٍ على مصنّفاتِه، فإنّه كانَ معظمًا لأبي الحسن عليّ بنِ إسماعيلَ الأشعريِّ، ذاكرًا ما مُنِحه من بسطةِ العلمِ وحدّةِ الفهمِ ووفورِ التصانيفِ وفصاحةِ اللهجةِ، وكان يسردُ من حفظه في المجالسِ العامّة كما سمعتُه فيما لا أحصيه من الأوقاتِ كلامَ الأشعريّ في الإبانةِ، ومدْحَهُ الإمامَ أحمد، وقول الأشعريّ في آخر كلامه عن أحمدَ رضي اللهُ عنه، وأنّه الإمامُ الكاملُ والرئيسُ الفاضلُ الذي أبانَ اللهُ تعالى به الحقَّ، وقمعَ بدعَ المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشكّ الشاكين، ورحمةُ اللهِ عليه من إمام مقدّمٍ ورئيس مفهمٍ.

وكانَ أيضاً مُعظَّماً للإمام أبي بكر الباقلاني الذي هو تلو أبي الحسن في الكلام ، وكان مبجلا للإمامِ أبي المعالي الجوينيّ، ويذكر فضائلَه وتصانيفَهُ، وأنّه ألّف في الروحِ ألفَ ورقةٍ، ويثني على الإمامِ أبي حامد الغزاليِّ، ولقد قرأتُ عليه كتاب التفرّق لأبي حامدٍ فجعلَ يتعجبُ من حسنِ عبارتِه، وجزالةِ إشارتِه".

ولكم أن تتخيلوا ما حدث زمن **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله من **اتحادٍ بين الاتحادية (غلاة الصوفية الذين يقولون بعقيدة الاتحاد والحلول) مع الأشعرية**، وكان هدفهم فقط هو ضرب ابن تيمية، أي ضرب الفكر التيمي، وقد حصل منهم اتفاقات واتحادات فقط لضرب الفكر التيمي: **فكر ابن تيمية** رحمه الله.

وهذا الكلام نصَّ عليه **عماد الدين الواسطي (٧١١هـ)** رحمه الله ، فالوثائق والمخطوطات اللاتي حققها المشايخ مؤخراً تُثبت هذه الوقائع، وقد أرَّخها **خليل بن أيبك الصفدي (٧٦٤هـ)** رحمه الله ، وأرخها أيضاً من كَتَبَ في تاريخِ هذه الأحداث. تخيلوا أن يكون هناك اتفاق واتحاد بين الاتحادي والأشعرية فقط لذلك الهدف!، وأنا أقول لهم –والله– لو أنّ السلفية أو من ينتسبون إليهم الآن في أي دولة كانت، لو اتحدتْ مع طائفة من طوائف الكفر أو دونها من فرق الضلال فقط لضرب عالمٍ أو إمامٍ من أئمة الهدى، لكُنَّا نحن أسخَطَ الناس على هؤلاء حتى لو كانوا سلفية أو انتسبوا للسلفية. ومن ذلك ما حدث مع وفاة **الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق** رحمه الله، ظهرت مؤخراً مقالات ممن ينتسبون إلى السلفية، وهم والله ليسوا من السلفية بشيء، فيقولون: الحمد لله الذي أراحنا وأراح الإسلام من الشيخ عبد الحمن عبد الخالق!.

فيقولون **اتّباعُ الكتاب والسنة باتباعِ فهم سلف الأمة!**، فوالله لم يكن هكذا فهم سلف الأمة، والله إنّ العجائز خير من عقائد وديانة هؤلاء؛ لأنهم كالسخط على كل رجلٍ يعد نبراساً وعلماً في تعليم الناس.

فليست المسألة **أنك مجرد سلفي أو مجرد أنك أشعري يعني أنْ تُعلِنَ الحَرب**، يعني –أتحدث عن نفسي– عندي أصدقاء أشاعرة وأستفيد منهم، ولديهم تخصصاتٌ عدة، سواءٌ كانت على مستوى اللغة العربية، أو على مستوى التحقيق، أو على مستوى علم الكلام، أستفيد منهم وأتعلم منهم، ولهم تسجيلاتٌ ومواقف مؤثرة ونافعة وأتعلم منهم. وفي نفس الوقت لا أوافِقُهم

على عقيدتهم، ولو سألني أحدٌ أو استشارني للاستجابة لدروسهم أو لمجالسهم لمنعته ولقلتُ له: "**لا تحضر حتى تكون عارفاً بعقيدتك**"، وهذا الكلام تعلمناه من الوالد حفظه الله ونتعلمه من قديم. لكن لا أجد إشكالية بالتزاور بيني وبينهم، والجلوس معهم، وحتى إن كان بعضهم يحمل في قلبه، فلا أجد أبداً إشكالاً في ذلك، بالإضافة إلى التحابب في العلم فيما نتفق بيني وبينه، فذلك لا يمنع من وجود الاختلاف بينك وبينه وبين إحقاق الحق في المسائل.

وبالنسبة **للتعامل مع الطرف الآخر**، فمثلاً –عن نفسي– أنا أقول إنّ الأشاعرة هم مبتدعة في مقولتهم ولا أجد ضيراً في هذا، كما أنّ الأشعري لا يجد ضيراً في أن يقول السلفي مبتدع في مقولته بل يقول مجسم وينسب التجسيم للكفر... الخ، فأنا لا أقول بتكفير الأشاعرة؛ **لأنّ الأشاعرة هم فئات وهم أقوام، وهم على مراحل**، فمن الأشاعرة من يكون على عقيدتهم ويقنع بها ويدين الله بهذه العقيدة، فانا لا يجوز لي أن أتخذه خصماً لي لا أسلم عليه ولا أحادثه، فهذا لم يكن موجوداً فيما سبق. وإذا كان هناك مسألة تُحاك في الأمة الإسلامية فنتفق أنا وإياه أمامه يداً واحدة. وبما أننا نحن ذكرنا ابن تيمية رحمه الله كثيراً، نقول ألم يكن ابن تيمية رحمه الله في غزو التتار مع الأشعرية وكان مع غيرهم؟ **لكن لن يكون هذا في زماننا الآن**؛ فالعقل السلفي والعقل الأشعري لا يستوعبان أن يكون هذا في زماننا، أن نتحد لصد هؤلاء الملاحدة أو لمضادة تلك الفئة... **لن نتفق**.

ويجب أن **نُفرِّق بين الأشعرية الذي يدين الله بما يعتقده، وبين الأشعري الذي يغالي في بدعته والذي يشتم العلماء والذي يضلل الناس بالقدر الذي يكون فيه أذىً**، والأوصاف لا تذهب، فذاك مبتدع يبقى على بدعته، فالقول بالبدعية أو وصف المقالة بالبدعية هذا شيء، وأن أسفّه عالماً أو أنْ أسفِّه من قدره، وأدخل إلى نيته وأطعن فيها، فهذا شيء آخر وهذا الذي نحذر منه.

وكما أشرتُ سابقاً: نحن لا نريد أن نصل إلاّ إلى قدرٍ من **ملامح الاتفاق التي يجب أن تكون، وملامح الخلاف التي يجب أن يُعرف كيف تكون**.

فملامح الاتفاق التي يجب أن تكون هي **ملامح تتعلق بالمروءة، ملامح تتعلق بالعدل، ملامح تتعلق بالصدق**، مثلاً مسألة: **هل ابن عثيمين(١٤١٨هـ-٢٠٠١م) رحمه الله مجسم؟ أو أنه رحمه الله يقول أن الله سبحانه وتعالى له جسم؟** الحقيقة أنا أتألم أن أجد طائفة كبيرة، تزيد عن خمسين رجلاً يقولون بمثل هذه المقولة! نسأل الله السلامة ونعوذ بالله من هذا الكلام، ونعوذ بالله ممن يقول: **إنَّ هذا الكلام لا يُستبعد أن يكون من مقالة السلفية أو نحو ذلك! وأن هؤلاء يتسترون تحت عقائدهم! ولا يظهرونها ولكن سيظهرها الله تعالى يوماً من الأيام!!!** فكلُّ هذا كلام طفولي، كلام أطفال صغار، كلام ليس له نصيبٌ من التحقيق العلمي.

وقد ذكرتُ هذه المسألة على شكل استطراد، يعني أنا عن نفسي أعرف مذهب **الشيخ ابن عثيمين** رحمه الله، وهو قد أخذه من مذهب **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله في مسألة الجسمية، أي: هل الله تعالى يوصف بأنَّه جسم؟ فالشيخ ابن عثيمين رحمه الله يُقرر قاعدة **أن الألفاظ المجملة التي لم يرد في كتابٍ ولا في سنة لا يجوز إثباتها ولا نفيها**، والقاعدة عند أهل السنة معروفة في هذا الباب (**كل ما ورد إثباته نثبته وكل ما ورد نفيه فننفيه وما لم يرد فيه إثباتٌ أو نفيٌ فلا نثبته ولا ننفيه، وننظر إلى المعنى: هل المعنى صحيح؟ فنثبت المعنى الصحيح ولا نثبت اللفظ**)؛ وهذه قاعدة **شيخ الإسلام** رحمه الله قررها في التدمرية، وقررها في كتبه الأخرى. وقررها **الشيخ ابن عثيمين** رحمه الله في جميع كتبه في مسألة الألفاظ المجملة. فيقول لك مثلاً في مسألة الجسمية: **إن كان إثبات الصفات يستلزم إثباتَ ذاتٍ لله** سبحانه وتعالى **متصف بصفات تليق به فهذا حق، ما عندنا إشكال، لكن هذا لا يعني أننا نقول أن الله له جسم.**

فلذلك هذا الإشكال وقع فيه كثير من الناس، ظنوا من مقالة **الشيخ ابن عثيمين** رحمه الله عندما قال: "**إن كان يلزم من رؤية الله تعالى أن يكون جسمًا، فليكن ذلك**"[1] أنّه مُجسِّم بكلامه؛ فعندما نثبت المعنى الصحيح ليس يلزم من هذا أننا نثبت أن لله سبحانه وتعالى له جسم! وجسم يليق بجلاله! **ما أحد قال بهذا الكلام**، ولا أحد يقول بهذا الكلام أصلاً، ولا أعلم عالماً سلفياً قال هذه الكلمة. لكن هذه المسألة هي إثباتٌ من باب التنزّل، **والإثباتُ في باب التنزل مفترقٌ تماماً عن الإثبات في مسألة التأصيل**، والتقارير التي تكون في باب المحاورة والمجادلة ليس كالتقارير التي تكون في حالة التأصيل وتقرير المسائل. لذلك لا أعرف نصّاً **للشيخ ابن عثيمين** رحمه الله يقول أن الله تعالى له جسم، بل كل نصوصه في شرح الواسطية، وفي شرح كتاب التوحيد، وفي شرح العقيدة السفارينية، وفي شرح البخاري، وغير ذلك، كلها تؤكد على أنّه لا يجون أن نثبت هذا اللفظ لله سبحانه وتعالى، ولا يجوز كذلك أن ننفيَه، إنما المراد من هذا الإثبات، أو المراد من هذا اللفظ **إثبات المعنى الصحيح**.

ولو أنّ متهِم الشيخ رحمه الله جَمَعَ كلّ ما قاله **الشيخ ابن عثيمين** رحمه الله في مسألة الجسمية لتأكد أن ابن عثيمين لا يقول ما ظنّ أنّ ابن عثيمين رحمه الله يقوله. ولو أنّه تعامَلَ مع الشيخ رحمه الله كأنّه شيخٌ من أشياخه الأشعرية، أو أنّه سَمِعَ أحدَ علمائه قال هذا الكلام –والله– لَنَحَتَ الليل والنهار؛ وهو يتحقق من مقالة هذا العالم، هل قالها أم ما قالها؟ ولو كان هذا حالنا في حالة **في التحقق من مقالة العلماء وما يُنسَبُ إليهم**، بأنّ تكون معاملتنا لهذا الشيخ أو العالم كأنّه إمامٌ لنا وشيخٌ لنا لتَبدَّل الحال واختلف المقال. لكن –مع الأسف– **نحن لا نحب ذلك إلا مع من نحب ومع من نَهوى**؛ فإذا كان موافقاً لنا فنحن معه، نقول مثلما يقول!!!.

١– من كتاب شرح صحيح البخاري لابن عثيمين.

ونحن لا يضرنا أن نقول إن الله ليس له جسم أو أنّ له جسم، يضرنا ألّا نثبت المعنى الشرعي الذي جاء به الكتاب والسنة. ما هو المعنى الصحيح والشرعي؟ يعني الذي يراه السلفي؛ فهو يرى أن الله ﷻ قائمٌ بذاته ويتصف بصفات تليق بجلاله لا نعلم كنهها، فهو لا يزيد على ذلك قيد أُنملة، وما يُغالي فيه بعض المُتتبن وبعض الناس بأن الله ﷻ –وهذا كذلك للأسف يُنسب للسلفية المعاصرة– أن الله ﷻ يقال له ثلاثيُّ الأبعاد! وهكذا... هذا كله كلامٌ خاطئ؛ ما أحد قال به ولن يقول به أحد أصلاً، **فالقواعد والتقريرات في مثل هذه المسائل واضحة وثابتة وجلية**.

ومن المسائل التي أُثيرتْ الفترة الأخيرة، والتي أُثيرتْ بشكل مؤلم ومؤثر ومؤذٍ، كتاب "**عقيدة المسلم**"[٢]، فهذا الكتاب – أنا أقول– يجب على الأشاعرة أن يسارعوا بالتبرُّؤ منه؛ لأن فيه من المحطات والأغاليط التي لا تصلح أن تصدر من دائرةٍ لها مكانتها في الدولة، ولها ذكرها عند الناس، ولا يصلح أن تحمل لواءً بالقدر الذي يكون فيه نَفَساً خطابيّاً يُعبِّرُ عن غيظٍ في القلبِ أكثرَ من مجرَّد مسألةِ إحقاق الحق!.

لا يجوز للإنسان أن يكذب على عالم ولا يجوز لإنسان أن يُثبت في عالمٍ ما يكون عند غيره، ولا يجوز أيضاً تقرير المسائل بوجهٍ كأنه هو الحق وليسَ حقٌ سواه! ولذلك أنا سأختار لكم عبارة في كتاب "عقيدة المسلم" مثلاً –وكنتُ قد كبتُ فيه ردّاً مقتضبا– في مسألةٍ يقولون في بدايتها "**لا يستغرب الإنسان**"[٣] هكذا بداية الكلام (لا يستغرب الإنسان)! أصبح الإنسان يُقرر عقيدة بطريقة "لا يستغرب الإنسان!!! وليس بطريقة "القاعدة المتقررة عند العلماء أن...الخ"، لا! إنما "**لا يستغرب الإنسان**"!، ومثلاً مسألة **عدم تكفير الكافر** فيقولن لا يلزمك أن تعتقد أن هذا الإنسان كافر حتى وإن كنت تعلم أنّ كفره قطعيٌّ ومعلومٌ بالدين بالضرورة![٤]، لا يلزمك أن تكفره...!، وهذا كلام شنيع جداً. ولذلك أخانا محمد براء ياسين كتب فيه مقالٍ واضحٍ وجليّ.

أنا أستغرب كتابا بهذا الحجم (٧٠ صفحة) ويصدر عن دائرة لها مكانتها، ومتأكد أنّه مَرّ على كثير من علماء الأشعرية أو باحثين أو غيرهم، والعجيب أن يقرروا مسألة عظيمة بهذه الطريقة!. –وعن نفسي– عندما قرأتُ الكتاب وقفت على ما يُقارب عشر محطاتٍ فيه، وكانت عبارة عن شيء مضحك حقيقةً، شيء مضحك بمعنى الكلمة، من هذه المحطات المضحكة

٢– كتابٌ أصدرته دائرة الإفتاء الأردنية بتاريخ ٢٠٢٠/٩/١٤، في ٧٠ صفحة، ينبني على عقيدة الأشاعرة والماتردية.

٣– كتاب عقيدة المسلم، دائرة الإفتاء الإسلامية، ص١٤.

٤– فقد قالوا في كتابهم: "**ومن لم يُكفِّر الكافر فليس بالضرورة أن يكون كافراً كما يظنه بعض الناس، بل الكفر هو التكذيب والجحود، أو الرضا بالكفر، أو الجهل التام بشهادة التوحيد: ((لا إله إلّا الله، محمد رسول الله))، فالمؤمن الذي يقرّ في حياته بشهادة التوحيد ويعقدها صادقاً من قلبه، ولم يُكفِّر أحداً من الناس ولو كانوا كفّاراً بالفعل؛ هو مومنٌ ناجٍ عند الله تعالى**". كتاب عقيدة المسلم، دائر الإفتاء الأردنية، ص٥٥.

هذا الموطن. وقد كتبتُ ثلاث صفحات بشكل مختصر ردا على هذه المسألة، وقد أوضَح أخي محمد براء ياسين مقالاً شافياً كافياً حول هذه المسألة.

حتى إن القاضي عياض (٥٤٤هـ) رحمه الله، والإمام النووي (٦٧٦هـ) رحمه الله وهما من الأئمة الذين يتشبثون بهم، وغيرهم من الأئمة يُقررون خلاف ما ذُكِر في هذا الكتاب! فالقاضي عياض رحمه الله في كتابه "**الشفا**" قال: "فِي أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعَامَّةِ، وَالنِّسَاءِ، وَالْبُلْهِ. وَمُقَلِّدَةِ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ وَغَيْرِهِمْ لَا حُجَّةَ لِلَّهِ عَلَيْهِمْ.. إِذْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ طِبَاعٌ يُمْكِنُ مَعَهَا الاستدلال وَقَائِلُ هَذَا كُلِّهِ كَافِرٌ بِالْإِجْمَاعِ عَلَى كُفْرِ مَنْ لَمْ يُكَفِّرْ أَحَدًا مِنَ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ، وَكُلَّ مَنْ فَارَقَ دِينَ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ وَقَفَ فِي تَكْفِيرِهِمْ، أَوْ شَكَّ."[٥]، فهو يقرر أن الإنسان الذي يتوقف في تكفير من يُعلَم كُفرُه فإنَّ هذا خارجٌ عن مِلَّة الإسلام، هذه المسألة قررها القاضي عياض رحمه الله وقررها أيضاً الإمام النووي رحمه الله بنصِّها، فمن المعقول ما قرأوا لمثل هؤلاء! وحتى لا يُقال إن مثل هذه المسائل إنما خرجت من الشيخ محمد عبد الوهاب (١٢٠٦هـ – ١٧٩١م) رحمه الله أو من الوهّابية، وأنَّه نحن من قال: **(من لم يكفر الكافر أو من شكَّ في كفرهم أو صحح مذهبهم فهو كافر)**، كأنَّ المسألة صارت مسألة وهابيّة أو مسألة تُنسب للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فقط!!!.

وأيضاً مما يندرج تحت هذه المسألة **هل يلزم من قام بفعل الكفر الحكم بأن فلان كافر؟** كل هؤلاء رحمهم الله يُقرُّون أنّه **لا يلزم من كون المسألة فعل كفري بأن يُقال أن فاعله كافر**[٦]، وهذه العقيدة التي درسناها والتي ندرسها والتي نُعلِّمُهَا، أنّه لا يلزم من وقوع الكفر أن يكون الفاعل كافراً؛ لاحتمال وجود الأعذار الشرعية أي: انتفاء الموانع وعدم توفر الشروط التي توجب إيقاع هذا الحكم.

ومذ صدر كتاب "**عقيدة المسلم**" وأنا أحذر منه وأحذر من قراءته وأدعوا الناس إلى عدم اقتنائه، وإن كان هذا الأمر سيتعلق بمغبَّة أو بشيء من هذا فليتعلق، لكن أنا أقول هذا، فهذا حق، لماذا؟ لأنه حتى في العقيدة الأشعرية لا يجوز أن تُصاغ ولا تذكر العقائد بهذه الطريقة، **فهو –للأسف– يربي جيلاً متعلقاً في الخلاف ويحمل في قلبه ما لا يكون حقاً والذي هو عبارة عن ردة فعل**، فيجب أن نترفع عن هذه المرحلة.

فأنا أدعوا الإخوة الكرام أن تقرأ... يجب أن تقرأ... **نحن لا يضرنا إلا عدم القراءة**، اقرأ لمن هم قَبل الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، دعك من محمد بن عبد الوهاب وتراثه، واقرأ لكل مَن سبقه؛ حتى لا تُختَزل السلفية ولا تُختَزل العقيدة وما يُشاع

٥– الشفا بتعريف حقوق المصطفى – محذوف الأسانيد (٢/ ٦٠٢–٦٠٣).

٦– ومثاله: كمَن سجد لصنم، ففعل هذا الشخص كفر لكن لا يلزم أن نحكم عليه بأنه كافر؛ فقد يكون أعمى أو لا يدري أن الذي سجد له هو صنم ...الخ.

في الفترة الأخيرة في مئتين السنة الأخيرة في تراث شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، أو في تراث الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فقط، اقرأ لِمن سَبَق، واقرأ لمن قبل ابن تيمية رحمه الله ، **واقرأ لكتب العقائد السلفية القديمة**، اقرأ للإمام اللالكائي (٤١٨هـ) رحمه الله واقرأ أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) رحمه الله وشروحه، لماذا؟ لأن العقيدة عندما تُختزل كأنّهم يقولون: (لا يوجد من العقيدة إلا ما قرره الأشعري والماتريدي رحمهما الله)[٧]!. أي المتوفان بالقرن الرابع هجري!، إذن وماذا نفعل بمن مات في القرن الثالث والثاني؟! كيف ماتوا وعلى عقيدة مَن؟!...

ربما يقول قائل: **(لأنّك سلفي تريد أن تنصر السلفية!)**، أنا لا أريد في هذا المقام أن أنتصر لعقيدة دون عقيدة، نعم أنا عقيدتي سلفية ولا أرضى العقيدة الأشعرية ولا أوافقها ولا قيد أُنملة، وأدين الله ﷻ بذلك، وهذا لا يضر الأشعري الذي يسمع، أو الذي يريد أن يخالف هذه العقيدة، لأنّ هذا الخلاف موجود، وأنا أدعوا كذلك إلى تصحيح العقائد وإلى أن يدرس الإنسان في العقائد بالقدر الذي بالفعل يلقى الله ﷻ وهو عارفٌ به، ولا يتلقى العقائد بطريقة ردّة الفعل، لا يتلقى عقيدته التي سيلقى الله ﷻ بها بطريقة التنازع والمخالفة إذا حصل نزاع شخصي بينه وبين عالمٍ أو نزاع بينه وبين شيخ! كشيخٍ استدان من طالبه مالاً وأخر بسداده، فيأتي الطالب ليُعاقب الشيخ فيُغير عقيدته!!!

ومع ذلك فأُقرّ هناك ممارسات وأخطاء من بعض الإخوة السلفية أيضاً، **وهذا الخطأ وارد ولا يسلم منه أحد**، أذكر عِبارة **للأستاذ الشيخ عبد اللطيف التويجري** حفظه الله وهو من مؤسسي مركز البيان، يقول: "أنا لا أعلم مدرسة تتسع للانتقاد والأخذ والرد كما هي في المدرسة السلفية". وأنا حقيقة أقول لنفسي هذا الكلام، تجد أي طائفة أخرى تتشبث بجماعتها حتى وإن أخطأت، وتُبرر لزلاتها حتى وإن حادت عن الطريق. لكن والله نحن تعلمنا ونعلم كذلك أنه إذا حصل من الإنسان خطأ نقول له: "**إنّ فعلك خاطئ، ونحفظ لك مقامك ومنزلتك ولكن نقول لك إنّك أخطأت**". وهذا مذهب الأئمّة الأربعة رحمهم الله ومذهب الأئمة الفقهاء رحمهم الله الذين نسعد للانتساب إليهم والتمثل بهم، وإذا قلنا للشخص: "أنت أخطأت" لا نعني بذلك أنَّ كل ما يصدر منك من كلام دائماً هو خطأ!، ولا يعني هذا أن نُسفِّهَ من منزلتك، ولا أن نُنزل مقامها، أو أن نحتقر من مقامك وقدرك، وهذا الحال يجب أن يطرد على الجميع.

وكما قال أخي وصاحبي محمّد موسى كمارا حفظه الله: "**القارئ العاقل من لا يمنعه حبُّ الرّافعيّ من القراءة لطه حسين، ولا يصدُّه الميل إلى محمود شاكر عن مطالعة آثار سيّد قطب، ولا يصرفه حبُّ تقيّ الدّين ابن تيمية عن النّهل من علم تقيّ الدّين السّبكيّ، ولا تحمله خصومة البصريّين على الإعراض عن آثار الكوفيّين، ولا تجعله معارضة عالمٍ يحتقر آثار**

٧- ذُكِرَ بداية كتابهم: "فتصدى لهذا الواجب العظيم إمامان عظيمان من أهل السنة والجماعة؛ هما: الإمام أبو الحسن الأشعري (٣٢٤هـ)، والإمام أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ)". كتاب عقيدة المسلم، دائرة الإفتاء الإسلامية، ص٧.

قرينه؛ ما دام كلّ طرفٍ ترك صوابًا لا يحرّف الحقيقة، ولا يطعن في الدّين، ولا يغيّر التّاريخ، أمّا الخطأ فمردود على صاحبه أيًّا كان".

والله إنّ هذه الأخلاقيات (**أخلاقيات البحث العلمي**) لو أنّها وجدت لدى المدرستَين أو لدى الفرقتين أو لدى الطائفتين، فسيكون هناك جوٌّ يملأهُ الصفاء، وجوٌّ مليء بالصحوة العلمية الحقة، التي تتحرى الحق ولا تختزل عقائدها ولا آراءها بناءً على عالم، أو تقديسها وحصرها بشيخ أو نحو ذلك.

نقول بين الناس: "**فلان الحنفي وفلان الشافعي**"، فلا يصلح للشخص أن ينتسب لهؤلاء مذهباً وهو يبعدُ عنهم أدباً، ولا يصلح أن ينتسب إلى هؤلاء مذهباً وهو يبعدُ عنهم عقيدةً، لا يصلح أن تنتسب إلى هؤلاء مذهباً وأنت تبعد عنهم في تناول المسائل.... هذا لا يجوز! الواجب عليك أنت **كطالب علم** أن تبحث عن الحق، **والواجب عليك في ذلك أولاً أن تستدل ثم تعتقد**، فلا يجوز لك أن تعتقد ثم تستدل، لا يجوز أن يكون عندك صورة نمطية معينة ثم بعد ذلك تختزل الأدلة بناءً على تصورك الذي أنت تريده!، فهذا شيءٌ لا يحبُّه اللهُ ﷻ ولا يرضاه، وهو كذلك ليس من الأدب وليس من أخلاقيات البحث العلمي. ولا يمنعك حين تبحث عن مسألةٍ **أن تقول كما قال العلماء**، فتلك المسألة قررها **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله كثيراً، وقررها كثيرٌ من قبله **مثل سفيان الثوري (١٦١هـ) وسفيان بن عيينة (٨١٥هـ)** وغيرهم الكثير رحمهم الله.

ومن المصائب الحاصلة كما قال **شيخ الإسلام** رحمه الله: "**غالب الخلقِ لا ينقادون للحق إلا قهراً**" وهذه المقالة يستعملها السلفيّ سياطاً على غيره، وكذلك يستعملها الأشعريُّ سياطاً على غيره، فكأنه يريد أن يقنع الناس بعقائده عن طريقة القهر والغلبة!. ونحن لم نصل ولن نصل إلى المنزلة التي نقول فيها: "لن تصل إلى عقيدتي إلا بالقهر"، هذه ما عادت موجودة أن تأتيَ للطالب وتملأه بالإحن وتعبئة القلب على الأشعرية؛ حتى لا يصير أشعرياً، أو العكس. والحمد لله **لا أذكر شيخاً درستُ عنده يتحايل بالقدر الذي يُريد به فكاكاً عن غيره**، وهكذا تكون منزلة العِلم: تقريرُ المسائل ومن ثم تبيانها، ومن ثم نعرف بعدها منزلة العلم.

ومن المآسي الحاصلة عند كثيرٍ من الشباب: **شدّة الانفعال والغلظة في الرد**، وهذا الخطاب غيرُ مُحَبَّب، وله من السلبياتِ الكثير من تنفيرٍ وزيادة الحِدّة في النقاش وغير ذلك، بل وقد يعكس صورة سلبية عن أفراد أو جماعة، ففيما يتعلق باختلافك مع الأشعري في عقيدتك أو الماتريدي أو غيرهم، لا تتخاطب معهم بطريقة المهاوشة والمناكفة، وكلّ واحد يستطيع أنْ يناكف في إثبات عقيدته أو إثبات محبته لشيخٍ وكذا، لكن من الآن لا تُعوِّلُ عليها كثيراً، فما أكثر من رأينا من يصيحُ ليلاً ونهاراً بشيخي فلان ومذهبي كذا وغير ذلك ومن ثمّ ينقلب، ما أكثر من وجدناهم في مثل هذا!... بل تحاور بالحوار العلمي،

بالحُجّة والبيان، وبهذا –بمشيئة الله ﷻ– سيوصل إلى الحق، أو أنّ أحدكما سيصل إلى الحق، **إن كانت القلوب صافية ومذعنة.**

ما أجمل الاعتدال!، وما أجمل أن تتناول العلم بهدوء!، ما أجمل أن تتناول العلم بأدب!، وأن تتناول الحكم على العلماء والمشايخ والأصدقاء والأشخاص باعتدالٍ، دون غلوٍ ولا تفريط، **هذا هي آداب الخلاف وأخلاقيات الصداقة وأخلاقيات التلمذة وأخلاقيات المشيخة التي يجب أن تستقرَّ في أذهاننا**، لكن الآن نحن كما قال أحد مشايخنا أنه: "**داء المعاصرة**" أي أنَّ الطالبَ إذا عاصر شيخاً فإنّه لا يرى إلّا هذا الشيخ، وإذا كان غير مُعاصرٍ لهذا الشيخ فإنه لا يرى بأساً بالحَطِ عنه، فمادام أنَّه يعرفه فهذا هو شيخي المُقرّب وشيخي المُدلل الذي لا يصل إليه أحد!.

والخلافُ كما قلنا آنفاً سيبقى موجوداً، ولن يقول أحد يوماً من الأيام: إن هذا الخلاف انتهى وآن الأوان أن تكون الكلمة واحدة. فإنّ هذا الخلاف سيبقى موجوداً ولا أظنه يذهب ولا يزول إلى أن يشاء الله ﷻ، **لكن المراد أن نحفظ لأهل العلم مكانتهم ومنزلتهم.**

فكل هدفي من هذا الكلام **أن نَصْدُقَ في حديثنا، وفي نسب الأقوال إلى أهلها**، ومن هذا القَبيل **أذكُرُ لكم موقفاً حدثَ معي** مع أحدِ الدكاترة المعروفين في الأردن، كنت أدْرُسُ عنده الفقه الحنفي، درست عنده مختصر القدوري كاملاً، في شهرٍ كاملٍ تقريباً، وكان غالب الموجودين هم من الأشاعرة أو ماتريدية، وأما السلفية فكانوا معدودين، وكان غالبهم من أصحاب العلم، وكان من ضمنهم **الدكتور عامر بهجت** حفظه الله، والدكتور عامر قامة في الأدب، فلذلك كان هذا الدكتور الحنفي في هذا المجلس يبجّلهم ويقدّرهم، حتى أنّه إذا أشكلت عليه مسألة "يقول ما رأيكم؟"، فكان مؤدباً في الخلاف.

ثم وصل إلى مسألة تتعلق بحديث للنبي ﷺ، فهو كان يتكلم عن صفة الوضوء، فقال (بمعنى مقاله): إذا توضأت فلتُكثِر من نزول قطر الماء من أطراف أصابعك. وقال بعدها: كأنّ أبا حنفية رحمه الله يقول: لعلّى الذنوب تنزل من يديك. فأنا رفعت يدي، فرآني الدكتور وأصبح يقول: "بغض النظر عن الخلاف الموجود ومن هذا الكلام"، فرفعت يدي مرّةً أخرى، وهو لا يريد مني أن أتكلم؛ لأنه يتوقع الرد العنيف، مثل أن أقول مستنكِراً: إنّه تبّرك واتقوا الله في أنفسكم وهكذا...!.

ثمَّ رفعتُ يدي في المرة الثالثة، وقلت يا دكتور أريد أن أتكلم، والدكتور حتى بالمرة الثالثة حاولَ أن لا أتكلم، ويقول: يا إخوان نحن نتفقه، فقلت له: لا يا شيخنا لا يا دكتور، أنا أُريد أن أُصدِّق مقالتك هذه بحديثٍ نبويّ. فلما قلت هذه الكلمة، توقف وأمر الحضور أن يستمعوا للشيخ معاذ ماذا سيتكلم!، وأنا حقيقة أذهلتني هذه الكلمة! لماذا؟ لأني حينما طلبتها –وأنا أعذره، لعله وقع الرد المُعتاد– لم يستجب لي، فقُلت له: عندي ما يُصدّق هذه المقالة من حديثِ رسول الله ﷺ وليس من

قالة أبو حنيفة، فقال نعم أعطيني ما عندك يا شيخ معاذ حدّثنا!، فقلتُ للشيخ وللحاضرين: **حديثٌ في مُسلم قال النبي ﷺ: «إذا توضأ العبد المسلم -أو المؤمن- فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء -أو مع آخر قطر الماء-، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء -أو مع آخر قطر الماء-، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء -أو مع آخر قطر الماء- حتى يخرج نقيا من الذنوب»**[٨].

فقال لي: يا شيخ معاذ هذا حديث؟! قلت له: **هذا حديث في صحيح مسلم**؛ فقال: والله أول مرة أسمع بهذا الحديث!...، قلت له (وأنا أحاول أن أنتهز هذه الفرصة): يا شيخ عندما نقول مستنكرين عن شيءٍ معين ليست القضية أنّنا نُخالِف الأئمة، الأمر ليس كذلك، الأمر إذا كان فيه حديث عن النبي ﷺ أو **كان تحتمله الأدلة قبلناه، والأمر إن لم يكن كذلك ناقشناه، وقد نكون رددناه وقد نكون أبطلناه**. فالحقيقة هو قال هذا الحديث أول مرة أسمع به، وقال لن أقول بعد ذلك: قال أبو حنيفة، فقلت له مباشرة قُل: قال رسول الله ﷺ.

فكان هذا الموقف يا إخوة مؤثراً، ولذلك والله هذا الدكتور على مدار هذه الدورة وكان مدتها ثلاثين يوماً، وتخيل أن المُتحدث ماتريدي، ومُتعصّب، وهو يُصرِّح أنّه مُتعصِّب لِما يقول، ونحن نسمع كلامه، فقط لأننا أردنا أن نسمع الفقه منه، ولكن ما كان فيه من خطأ رددناه. مثلاً كان يقول: ابن تيمية رحمه الله كان يخطأ كثيراً! ويقول كذا وكذا!، فيرفع الدكتور عامر بهجت حفظه الله فيستحي الدكتور ويقول تفضل شيخ عامر، فيقول الشيخ عامر: ابن تيمية لم يقل هذ الكلمة، فيرد الدكتور بأنه قالها...! وهذه كانت من الأكاذيب على شيخ الإسلام رحمه الله، وكنت أُسارِع إلى البحث في كلام ابن تيمية، فأقول تسمح لي يا دكتور؟ فيقول تفضل يا شيخ معاذ..، فأقرأ: قال ابن تيمية رحمه الله كذا وكذا وكذا... فيقول الدكتور (بمعنى كلامه) متعجباً: إذا كان الكلام هكذا فيختلف الحكم! استغفر الله، والله ظننت أن ابن تيمية كان يقول هذا الكلام.

فلذلك يا إخوتي الصورة النمطية هذه أصبحت مؤذية ومؤلمة؛ **ونحن نقول ذلك من معاناة لِما تمر به السلفية المعاصرة**، ومع ذلك نقول إنّ الصورة النمطية موجودة عند بعض السلفية تجاه الأشعري، فليس معناه أنك إذا وجدت عالما أشعريا أن تقول له اتقِ الله ولا تُسلِّم عليه...!!! **فليس كلّ الأشاعرة على مرتبة واحدة**، فتجد منهم من يقتنع، ونحن نقول الإمام الرازي والإمام الغزالي ونقول الإمام الباقلاني وغيرهم رحمهم الله، ونترحّمُ عليهم، وهؤلاء أشعرية وإن خالفوا الأشعرية ببعض المسائل، والمجال هنا ليس لتحقيق هذه المسائل.

٨- صحيح مسلم (١/ ٢١٥)

اليوم قرأت مقالاً "مسألة إنصاف ابن تيمية رحمه الله لعلماء المخالفين له"، وأنا ذكرت لكم مثال موقف ابن تيمية مع الصوفية، والأمثلة كثيرة، مثل مدح الإمام ابن تيمية للإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله في رَدِّهِ على المُعتزلة وفي نصره للعقيدة.

ولذلك كنت قرأت مقالاً قبل قليل لأحد الإخوة الأشعرية، في مسألة يمتدح فيها السلفية في بابٍ مُعيّن، فيقول: لمّا مدحتهم في هذا الباب هالت علي الرسائل في الخاص: كيف تقول هذا الكلام؟! وكيف تنشر هذا الكلام يا مبتدع؟! واتقِ الله في نفسك!، وأنت خرجتَ من جادة العلم! وكذا... فيجب بهذا الخِطاب وهذه الآداب أن تُنشَر وأن تُشهَر، وأن يتأدب الناس في الخِلاف، فمن مات من العلماء فقد فات، ونقول "رحمه الله" قد أوكل أمره إلى الله سبحانه وتعالى، فإن كان أحسنَ زِدنا في الدعاء له، وإن كان أساء لأهل الإسلام وما كان إلّا علامةً في السبّ والوقاعة بهم، والله لن يقول الناس سواء أكان سلفياً أو أشعرياً سواء أكان صوفياً إلا: الحمد لله أن أراح الإسلام منه.

ونحن الآن في زمنٍ الكل ينتسب فيه إلى الطوائف، والكل ينتسب إلى الأشعرية ويتفاخر بها، والكل ينتسب إلى المذاهب الفقهية ويتفاخر، وهذه موضة المذاهب الجديدة الآن، وهذا الأمر وحده يحتاج إلى حديث مطوّل، موضة المذاهب![٩]، فذاك حنفي يعني أنّه لا يرى أحداً أمامه! وذاك شافعي لا يرى أحداً أمامي! وذاك درس المذهب الحنبلي لا يرى أحداً أمامه!...، **رحم الله علماءنا كانوا يتمذهبون بمذاهب الأئمة ولا يعرف الناس ذلك عنهم**، كان يتفقه بفقه فلان ولا يرى الناس منه إلا كأنه ينتسب إلى مذهبهم، وما كان ذلك منهم إلّا بعدما امتلؤوا أدباً وفهماً وتعقُّلاً لواقع الناس وواقع العالم، وليس أن الشخص إذا درس مسألتين في الفقه الشافعي –مثلاً– فيُسارِع إلى تغيير اسمه: فلان الشافعي!، ومن ثم يصبح عنده ردة فعل: كيف أنا شافعي وعلماء الشافعية المتأخرين كثير منهم أشاعرة؟ إذن أنا أشعري!... **وقِس على ذلك...**

هدّئ من روعك يا أخي! إذا أردت أعطيك الآن نصوصاً أنّ الإمام الشافعي يذم أصول الأشعرية وكذا وكذا. **فلا يجوز لك بمجرد الانتساب إلى الشيء أن تصير شيئاً**، أن تصير هو الشيء نفسه، هذا خطأ...

نحن بحاجة والله **وأحوج إلى قليل الأدب أكثر من كثير العلم**، نحن بحاجة إلى التأدب في الخطأ –وأعيد ما ذكرته آنفاً– أننا بحاجة **إلى الإنصاف في الخطاب والمروءة فيه**، فقبل أن تنسب كلمة إلى عالم وتقول: "**انظر ماذا يقول فلان...**" يجب عليك أن تتأمل، وأن تنظر إلى معنى ما قاله ومقصده من قوله، وأنْ تنظر في جميع مقالات كأنه عالمك. وأنا أولى الناس بهذا الخِطاب، فنسأل الله جل جلاله أن يُعلمنا وأن يرزقنا وإياكم العلم والحكمة.

٩– المقصود بها: مَن يُنسب نفسه إلى مذهبٍ مُعيّن ويتفاخر بالانتساب إله ويُدافعُ عنه وهو لا يعرف شيئا عنه غيرَ اسمه، وربما يصل إلى مرحلة الطعن بالمذاهب الأخرى.

ومن المواضيع التي صدرت حديثاً كما أشرنا هي **التحولات المذهبية**، فغالب هذه التحولات نستطيع أن نقول **هي موضة، كموضة الثياب والأكل**، بأن يقول الشخص "**الحمد لله كنت كذا وصرت كذا**"!، وغالب هذه التحولات لا تكون إلا بسبب تنازعات حدثت بين هذا المتحوِّل وبين شيخِهِ، أو بينَهُ وبينَ صديقِهِ، فيريد أن يعاقبه فيتحول إلى غير مذهب صديقه وشيخه! أو أن يقول: "**أن بحثت في المسائل وتبيّن لي...**"!! ماذا بحثت في المسائل؟! لو أن الواحد فينا نحَت الكتب نحتاً ويجالساها سنوات طِوال بالكاد والله أن يفهم مذهبه، فكيف يفهم مذهب غيره؟! فالله المستعان!.

وهذا الذي لا نريده، ولا نريد الحقد الشخصي، الحقد المُعبَّأ في الأشخاص، من أجل أشياء أخرى لا يجب أن يؤثر على عقيدتك وديانتك، **وهذا الشيء تلقى الله تعالى به، وستسأل عنه يوم القيامة، سواء أكنت أشعرياً أو كنت سلفياً**، ونحن لا نفرح لمن يقول: "**كنت أشعرياً وأصبحت سلفياً**" **بمعني أننا قد انتصرنا!!** والله لا نفرح بهذا المعنى إنما نفرح بأن الله هداه إلى الصواب.

لكن نفس الانتصار كما يقول بعض الفودية[١٠] –خلصنا الله منهم– وقول شيخهم: الآن بدأ التكتل السلفي تظهر دموعه وآثاره ويتباكى ويتأثر من تساقط السلفية!!، لا والله ... ما تساقطوا وقد قلت له في ردي عليه **والله ما زادهم إلا ثباتاً، ويقيناً وعلماً وفهماً**.

وما يصدر حديثاً من مقولة بعضهم: "**أنّ المنتسب للشافعية يجب أن يكون على عقائد الشافعية!!!، وأنّ المنتسب للحنابلة يجب أن يكون على عقائد الحنابلة**"، وهذا خاطئ جداً ولا يجوز أن تقال أصلاً، فانظر إلى ما نقله شيخ الإسلام عن **أبو الحسن الكرجي الشافعي (٥٣٢هـ)** رحمه الله –وهو من فقهاء الشافعية– كلاماً مهمّاً هذه المسألة: "**إنَّ فِي النَّقْلِ عَنْ هَؤُلَاءِ (أي الأئمة المتبوعين) إلْزَامًا لِلْحُجَّةِ عَلَى كُلِّ مَنْ يَنْتَحِلُ مَذْهَبَ إمَامٍ يُخَالِفُهُ فِي الْعَقِيدَةِ فَإِنَّ أَحَدَهُمَا لَا مَحَالَةَ يُضَلِّلُ صَاحِبَهُ أَوْ يُبَدِّعُهُ أَوْ يُكَفِّرُهُ فَانْتِحَالُ مَذْهَبِهِ – مَعَ مُخَالَفَتِهِ لَهُ فِي الْعَقِيدَةِ مُسْتَنْكَرٌ وَاَللَّهِ شَرْعًا وَطَبْعًا، فَمَنْ قَالَ: أَنَا شَافِعِيُّ الشَّرْعِ أَشْعَرِيُّ الِاعْتِقَادِ قُلْنَا لَهُ: هَذَا مِنْ الْأَضْدَادِ لَا بَلْ مِنْ الِارْتِدَادِ إذْ لَمْ يَكُنْ الشَّافِعِيُّ أَشْعَرِيَّ الِاعْتِقَادِ. وَمَنْ قَالَ: أَنَا حَنْبَلِيٌّ فِي الْفُرُوعِ مُعْتَزِلِيٌّ فِي الْأُصُولِ قُلْنَا: قَدْ ضَلَلْت إذًا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ فِيمَا تَزْعُمُهُ إذْ لَمْ يَكُنْ أَحْمَدُ مُعْتَزِلِيَّ الدِّينِ وَالِاجْتِهَادِ**"[١١].

وانظر أيضاً إلى نصرة ابن تيمية رحمه الله من **شهاب الدين الخويي (٦٩٣هـ)، وشرف الدين المقدسي (٦١١هـ)** رحمهما الله وكانوا من كبار الشافعية، فلما تحدث ابن تيمية رحمه الله وهو في سن الاثنين والعشرين سنة وتصدر التعليم، فانظر كيف كان

١٠– نسبة إلى شيخهم د.سعيد فودة.

١١– مجموع الفتاوى (٤/ ١٧٧).

يبجلونه وينصرونه ويقفون معه، وهذا كله قبل المحنة، وهم أئمة من كبار الشافعية، ويعرفون مقالة ابن تيمية ويعرفون عقائده، **وكان الأمير: جمال الدين الأفرم (٧٠٦هـ)** آن ذاك يأنس بابن تيمية وكان يقول **إن ابن تيمية لا يقول إلا قال الله وقال الرسول**. وكان ينشئ المناظرات وينسقها، وكان يُناظر ويدعوا مخالفي ابن تيمية للمناظرة، وكان الأفرم لا يزيد إلا اقتناعاً بابن تيمية، وكلهم كانوا يثبتون لابن تيمية الفضل، **فلماذا الآن لا نجد هذه الممارسات وهذه الأدبيات في هذا الزمان؟!**

وبالنسبة **لربط المذهب الشافعي بالأشعرية**، فهذه من الحجج التي نقولها للأشعرية: "**كيف كانت عقائد الناس قبل الإمام الأشعري؟ وهل الشافعي نفسه كان أشعرياً؟** وهذا الكلام مكرر والأشعري يعرفه... فجوابهم المعروف هو **أن السلف كانت طريقتهم في العقيدة طريقة السلامة، وأمّا طريقة الخَلَف هي طريق العلم والحكمة!!، والسلف كانوا على طريقة التفويض** –وهذه المقالة الكاذبة– **كانوا مفوضون للصفات ثم المتأخرون نحوا منحى التأويل!!** وكما قال قائلهم:

وكلّ نصٍّ أوهمَ التشبيها * أوّله أو فَوّض ورُم تَنزيها**

فهذه المقالات خاطئة، ونحن نقول هذا الكلام ونشهرها أمام الأشعري، وإن كان يزعجه هذا الكلام، وهو سيقول بضِعفه وهذا لا يضره. لكن نحن نقول: **كيف كان حال الأئمة قبل هؤلاء؟! أين نصوصهم في التأويل؟!** وعلى كُلٍّ هذا المقام ليس مقام إظهار وتبيان أخطاء الأشعرية.

لكن نحن نقول: "**إذا أردت أن تنتسب إلى الشافعية الأولى بك أن تكون على عقيدة الشافعي**"، وأنا أرضى أن تكون على عقيدة الشافعي وتلاميذه إلى نهاية القرن الثالث، والحكم بيننا وبينك ما كان نصّاً، وما هو مبثوث عند الشافعية، وما هو منصوص فيه، ما زاد عن ذلك فنحن نعلم ماذا دخل وماذا خرج من الإمام الأشعري بأن كان بدايةً في الاعتزال، ثم رد على المعتزلة ثم استقرّ على عقيدته، إلى أن تراجع عنها، كما في كتابه **الإبانة**[١٢]، فهو يقول أنا على مقالة أحمد بن حنبل كما في كتابه الإبانة، وهؤلاء يسعون إلى إنكار أن هذا الكتاب للإمام أبي حسن الأشعري.

١٢– قال أبو حسن الأشعري في كتابه الإبانة: "**فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافعة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون. قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل، وبسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وما روى عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل – نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته – قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيع الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم...**" الإبانة عن أصول الديانة، لأبي حسن الأشعري،ص٢٠.

فإذا كنت تنتسب إلى الأئمة **فانتسب إلى الرعيل الأول**، وأنا أدعوا إلى قراءة كتاب "**الاتجاه السلفي عند الشافعية حتى القرن السادس هجري**"[١٣] للشيخ طه نجا، سواء الأشعري والسلفي أدعوكم إلى قراءة هذا الكتاب، فوالله هذا الكتاب سيُغيِّرُ في نظرتك الشيء الكثير، فمؤلفه والله ما رأيناه كذب ولا تصرَّف بالنقولات تصرّفاً يُخلِّ في معناها، بل نقل بكل وضوحٍ ما يدل على أنّ عقيدة الشافعية والإمام الشافعي رحمه الله على عقيدة من سَبَق، لا على العقيدة الأشعرية.

وأتعجب أيضاً ممن يقول إنّ الخلاف بين السلفية والأشعرية هو خلاف لفظي!، فأنا أدعوا لِمن يقول هذا إلى قراءة رسالة **الشيخ سفر الحوالي** فكَّ الله أسره "**الأشعرية – عرض ونقد**" وسيجد الكثير الكثير من الخلافات الكبيرة، وسيرى العجب في ذلك، ومن يقول ذلك ويدعوا بهذا فإنما هي في محاولة مسك العصا من الوسط، وهي دعوة غير وِفاق وإن كان قالها بعض المعاصرين...

فنحن في هذا الزمن بحاجة **إلى دراسة العقيدة السليمة، دراسة كافيةً وافية**، وإن لم تدرس العقيد على بابها الصحيحة لن تفهم عقيدتك ولن تفهم عقائد الآخرين، وسوف تتشبّع بما لم تُعطَ، والمُتَشبع بما لم يُعطَ كما قال النبي ﷺ: "**المُتَشَبِّعُ بما لَمْ يُعْطَ كَلابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**"[١٤]، لذلك تحزن وتأسف عندما تجد كثيراً من المقالات كُتِبَتْ بأساليب فَجَّةٍ، وبطريقة والله ليس لها جانب من التحقيق العلمي ولا من إظهار الحق، إنما هو من إظهار النفس، والله هذا شيء مؤلم.

وما تكلمتُ بهذه الكلمات إلّا بعدما اشتداد الجدل والنقاش بالأيام الأخيرة، بل كان هذا الموضوع هو العنوان الرئيسي في مواقع التواصل، والله إنّه مؤلم، والمصيبة أنّي عندما أتحقق من مقالات المتناقشين أجد غالبها غير صحيحة! **فلماذا تُثير الجدل حول هذا الموضوع، وترمي بشَرارِك على حطبه لكي يشتعل؟!**، والمصيبة الأعظم أنَّ العوام والأصدقاء الذين يعلقون ويصفقون على طول المقال وحُسنَ ألفاظه وفصاحته، وهم لا يدرون غيرَ أنَّ فلان الذي احبُّه كتب مقالاً طويلاً جميلاً!!...

١٣- **تمهيد للكتاب:** في خضم الصراع السلفي الأشعري يستطيل الأشاعرة دائمًا بأنهم عَلم على المذهب الشافعي ومرادف له، في استغلالٍ واضحٍ لارتباط المدرسة الشافعية بالمدرسة الأشعرية عبر التاريخ الفكري للمذهبين. هذا الارتباط بين الشافعية والأشعرية صار من العوائد التي تتكرر كثيرًا، دون الانشغال بحقيقتها، فضلًا عن التدليل عليها، أو ما هو أبعد من ذلك: البحث في مدى مصداقية هذه المقولة الشائعة ووضعها على مائدة البحث والتحقيق. تأتي هذه الدراسة التي بين أيدينا لتضع هذه المقولة الذائعة في التأريخ الفكري للمذهبين على مائدة البحث العلمي، في محاولة جادة لتفكيك هذه المقولة، وتحليل أصولها المعرفية وأطوارها التاريخية، ومحاولة فهم الأصول العلمية والتاريخية للارتباط الحاصل بين المذهبين. بل ترمي هذه الدراسة إلى ما هو أبعد من ذلك، فترصد –في خلال المدة الزمنية المحددة لها– مقدار تواجد التيار السلفي داخل المدرسة الشافعية ومدى تأثيره. هذه الأهداف وأهداف أخرى كانت هي الغاية التي يرنو إليها معدّ هذه الدراسة التي نود التعريف بها في الأسطر القادمة بإذن الله تعالى. – **مركز سلف للبحوث والدراسات.**

١٤- البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٥٢١٩".

والله إنّي أستحي أن أرى أشعريّاً تحولَ عن أشعريته ويبدأ بالطعن بالأشعرية ومشايخهم وطلبتهم، بل والله إنّه لمؤلم، فلا أدري كيف يهون على الشخص تأليفَ كلامٍ لا ينطق به عاقل، ثمّ بكلِّ جراءةٍ يَنسبُهُ إلى علماء كبار!، والله وزرهم في رقبته يوم القيامة...

ومن يحاول تشويه عقائد السلفية بتأليف الكلام ونشر المقالات، **فهذا عبث لأنَّ العقيدة كُتِبَت من زمن طول وهي معروفة**، وأيضاً المحاولات من السلفية المعاصرة أو من الذين يسمون أنفسهم **(بالحنابلة الجدد)** والذين خرجوا لنا بلفظ: "**فضلاء الحنابلة**"! هي عبارة عن **أدلجة الحنابلة** فقط، أي أنه ما دام أنّ أغلب العلماء المأخرين من الحنفية والمالكية والشافعية على العقيدة الأشعرية، فكذلك يجب أن يكون علماء الحنابلة المتأخرين كذلك! وحتى يستطيعوا ذلك خرجوا لنا بلفظ "**الحنابلة الجدد**" أو "**فُضلاء الحنابلة**" هؤلاء الكذابون الذين ينسبون مذهب الإمام أحمد ﷺ وإلى أصل مقال أحمد إلى مذهب التفويض!!! ... **علماء دونوا وكتبوا ونقلوا وألّفوا في مذهبهم وعقيدتهم منذ ألف وثلاث مئة سنة ثم يأتي أحدهم فيعلن أنّه اكتشف شيئاً لم يكتشفه أحدٌ قبله!**

إذا لم يسعك كلامي **فليسعك البحث العلمي**، وارمِ مقالتي هذه بالهواء، واضربها بعرض الحائط، واذهب إلى كتب الأئمة الأربعة ومن سبقهم ومن تبعهم وتتلمذ عليهم، وافتح كتبهم وما نُقِلَ عنهم، واقرأ مذاهبهم ومعتقداتهم.

كنا قبل فترة في أحد دروس الأصول، فتناقشنا بمسألة: ماذا يُعرّف القرآن الكريم؟ بأنّه كلام الله ﷻ، ثم ذكرت أمثلة من كبار العلماء **كابن النجار الحنبلي (٩٧٢هـ)** ﷺ الذي قرر المسألة في شرح الكوكب المنير في أكثر من مائة صفحة!، وكذلك **المرداوي (٨٨٥هـ)** ﷺ صاحب كتاب التحرير، وماذا يقول في شرحه في التحبير، يقرر عقيدة السلفية في المسألة في أكثر من مائة وخمسين صفحة.

ثم يخرج لك فئة ويقولون إن ابن تيمية هو الذي أسس العقيدة السلفية!، والله عجيب، فمثلاً **ابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ)** ﷺ له في مسألة الكلام (كلام الله) ثلاثة مصنفات، **والإمام أبو نصر السجزي (٤٤٤هـ)** ﷺ له مصنف كامل فقط في مسألة الحرف والصوت وغيرهم الكثير الكثير. وخير من بحث من المعاصرين في مسألة الكلام الشيخ عبد الله الجديع حفظه الله وله كتاب نفيس ورائع في هذه المسألة اسمه "**العقيدة السلفية في كلام ربِّ البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية**". وإنْ كنا نختلف معه ببعض المسائل، لكنّه باحث جاد لا يعبث في المسائل حفظه الله.

وأنا ذكرت مثالاً واحداً وهي مسألة كلام الله ﷻ، وإذا تعمقت في القراءة فستجد العجب العجاب، وحتى تخطئ من يقول: أنّ هذه العقائد ما جاءت **إلَّا من كيس ابن تيمية أو كيس محمد بن عبد الوهاب**، ولولاهما ما خرجت العقيدة السلفية!!، **وابن**

تيمية رحمه الله هو رجلٌ فتح الله عليه في تحقيق المسائل وفي توضيحها وفي بسطتها وفي تبيانها، **لكن أن نقول أنّ السلفية خرج منه** رحمه الله **فهذا كلام خاطئ** وإنما هو قرَّر ما قاله قبله من العلماء ومن سَبَق من السلف، وهذا ليس انتقاصاً من منزلة شيخ الإسلام رحمه الله، إنما من باب الإيضاح والبيان[١٥].

ويجب أن يعرف طالب العلم نشاط المذهب الأشعري وكيف نشأ وكيف تطور، وفي ذلك كتاب آخر للشيخ **محمد براء ياسين** حفظه الله اسمه "**النشاط الأشعري المعاصر**"، ومن الملاحظ أنّ المذهب الأشعري لم يَقُمْ ولم ينشأ إلّا بين ولاة الأمور وترعرع بهم، وكم كان لهم تأثير على علماء أهل السُنّة من سجنهم وتعذيبهم وقتلهم، فمثلاً أدعوك لقراءة ترجمة **الإمام عبد الغني المقدسي (٦٠٠هـ)** رحمه الله، وماذا صنع به خصومه رحمه الله، وحينما كتبوا فتوى في إباحة دمه، فقط لأنّه يثبت الصفات كما أثبتها السلف!.

نحن نريد أن نجعل **قدواتنا في هذا الباب الأئمة الدعاة المهديين**، فإذا قلنا الشافعي علينا أن نقتدي بصفاته رحمه الله، وإذا قلنا ابن تيمية فيجب أن نقتدي بصفاته رحمه الله، وإذا قلنا ابن باز فعلينا أن نقتدي بصفاته رحمه الله، وأذكر مثالاً أخيراً مع **الشيخ ابن باز (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)** رحمه الله، الذي كان من أكثر العلماء المعاصرين احتضاناً لجميع العلماء من شتا المذاهب والمعتقدات، وهو موقفه مع الشيخ **محمد الغزالي المصري (١٤١٦هـ-١٩٩٦)** رحمه الله (المعاصر)، وكيف كان يتحدث عن الإمام ابن باز ويشتمه، وعندما التقى بالإمام رحمه الله وحين أكرمه، اختلف كلامه عنه ولم يعد لكلامه السابق. فمن الأمور التي نستطيع من خلالها أن ننهي هذه الخلافات هو **أن تجعل بينك وبين مُخالفك موقفا جميلا تتحابّان فيه**، فيكون بينك وبينه وَصلُ حبٍّ ومودٍّ ولقاءٍ فحينها لن تجد تلك النزاعات البعيدة عن المبادئ والآداب، وهذا الأصل أن يكون في خلافاتنا ونزاعاتنا.

فالخلاصة أنا **لا أريد أن أمسك العصا من الوسط**، بل أنا أدعوا إلى العقيدة السلفية، أدعوا إلى عقيدة النجاة عند الله سبحانه وتعالى، بأنك حين ترفع يديك وتدعوا الله جل جلاله وأنت موقِن بعلوِّه -مثلاً- فهذا كافٍ أن كون على عقيدٍ مهديةٍ مرضية، وستجد لها أثراً في حياتك اليومية، **فليست العقيدة أن تقول فقط أنّ الله يتكلم، إنما إذا أثبتَّ هذه الصفة أن تحفظ كلامك وتراقب ألفاظك، وإذا قلت أنّ الله له سمعٌ وبصر يجب عليك أن تستشعر أنَّ الله رقيبك وحسيبك وسامِعُك والناظرُ إليك**، واعتقد بالله

١٥- وفي هذا المقام نَشرَ الشيخ معاذ حفظه الله مقالاً قال فيه: "**هذا تأكيد لما ذكرته في اللقاء أمس، من أن عامة ما يقرّره ابن تيمية** رحمه الله **من العقائد والأسماء والأحكام موافق لما هو مقرر عن السلف** رحمهم الله. **والدكتور أحمد النجار باحث سلفي متميز، قد وفق في التأليف إجمالاً وأبدع فيه...**" وقد أرفقَ الشيخ صورين لكتابين للدكتور أحمد النجار وهما كتاب "**موافقة شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله **لأئمة السلف في تقرير القواعد والضوابط المتعلقة بباب الأسماء والصفات**" وكتاب "**موافقة شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله **لسَلف الأمّة وأئمّتها في تقرير القواعد المتعلقة بباب الأسماء والأحكام**".

ﷻ ما يعتقده الطفل الصغير والشيخ الكبير بالسِّن، والعجوز الكبيرة، اقرأ القرآن غضاً طرياً سَهلاً يسيراً، بسهولةٍ ودون أن تُكلِّف نفسك بالبحث عن المعاني تحت السطور، وأطِع الله ﷻ في أوامرهِ واجتنب نواهيه، وأثبِت ما أثبته الله ﷻ لنفسه، وانفِ ما نفاه الله ﷻ عن نفسه، واستشعر بكلِّ اسمٍ من أسماء الله ﷻ يَرِد، وبكلِّ صفةٍ من صفات الله ﷻ تقرأها.

ولا أدعوا للعقيدة الأشعرية، وأرى ما يرى علماؤنا وسَلَفُنا أنّها على غير الجادَّة. لكن **أنا أدعوا إلى الأدب في الخلاف**، وإلى التحاور بالخطاب العلمي الأدبي، لا بالخطاب العاطفي، إن كان خانني التعبير في كلمةٍ ما فأرجوا أن تغفروه لي بحُسنِ القصد، فأنا والله ما أردُ شيئاً إلّا أن أقول: نحن إلى قليل أدبٍ وإنصاف أحوج من كثير علم!، في نزاعاتنا وفي مسائل الخلاف سواءً أكانت بالمسائل الفقهية –وهو من باب أولى (الخلاف المذهبي)– أو مسائل الاعتقاد، ويجب أن تُنزَّل مسائل الاعتقاد في بابتها وأن تحاوَر كذلك في بابتها، **فلا يتمسك أحدٌ بمسألةٍ معينة ثم يبدأ بالنقاش فيها كأنه أعلم الناس فيها وأكثرهم اطلاعاً عليها**.

ومهما بلغ النزاع مبلغه، فلا تقلّل من مقام الشيخ أو العالم الذي يُخالفك، **فالشيخ نور الدين عتر** ﷺ مثلاً، مع أنّه كان شديداً على السلفية في ذمهم والتحذير منهم، إلّا أننا لا نُنكر علمه وفَضله ﷺ، وغيره الكثير بل إنّي والله أتشرف وأسعد بمتابعتهم؛ للاستفادة من علمهم. ومن المواقف العَمَليّة عند زُيارتنا **للشيخ عبد الملك السعدي** حفظه الله –وهو أشعري وأنا أعلم ذلك من قَبل– عندما جاء **الشيخ محمد العريفي** حفظه الله وأيضاً جُملة من العُلماء للأردن؛ لزيارة الوالد حفظه الله، فكلّموني: مَن نزور؟ فانتخبتُ لهم مجموعة من المشايخ والفضلاء، وكان من ضمنهم **الشيخ عبد الملك السعدي** حفظه الله، فبعض الإخوة استغربوا واستنكروا!... –وأنا أقول– إنّي أتقرب إلى الله ﷻ بهذه الزيارة وبهذا الاجتماع.

ووالله لو أنّكم شاهدتم حفاوة **الشيخ عبد الملك بالشيخ محمد العريفي** حفظهما الله!، في استقباله وتكريمه وتوقيره وتبجيله، ورَفعٍ من شأنه، وحفظ حقِّه من الاستفادة منه، مع أنّه بمنزلة أبنائه بل قد يكون بمنزلة أحفاده!، حتى تحدثت زوجة الشيخ عبد الملك أو ابنته أو النساء في حَرمهنّ وقالت للشيخ العريفي بكلِّ أدبٍ واحترامٍ وتوقير: نحن يا شيخ تعلمنا منك وتربينا على سماعِ صوتك...الخ. فهذه من النماذج الجميلة التي نذكرها، **ونُحِب أن تتكرر**.

وأيضاً **الشيخ شُعيب الأرناؤوط (١٤٣٨هـ-٢٠١٦م)** ﷺ، أخذنا منه ودرسنا عنده، وشاهدناه –قَبلَ أن يرجع عن أشعريَّته– كيف كان يبجِّل ابن تيمية ﷺ ويحفظ له منزلته ومقامه ﷺ. فما بالُ الأشعريِّة هذه الأيَّام وكثير منهم الآن يشتم ابن تيمية وينسب عليه بكلامٍ ما قاله، وربما لولا أنّه يستحي من الناس وردَّة فعلهم –والله– لقالَ مقالةً أشنع وأشد؟!!.

فيجب على الباحثين والدعاة جزاهم الله خيراً **أن يُميّزوا بين الدعوة الصحيحة في إظهار الحق، وبين إثارة المسائل على العَلن وبين العامة**؛ فلا يظهر لهم من المسائل إلّا التي فيها خلاف، والأصل أن تكون وسائل التواصل هي وسائل رحمة بين الأفراد لا أن تكون سبباً في الخلاف والنزاع والشقاق.

فكان الهدف من هذا الكلام هو حفظ منزلة أهل العِلم ومقامهم وقدرهم وفضلهم، سائلاً الله ﷻ أن يوفقنا وإيّاكم لكل خير، وأن يحفظنا ويحفظكم ويغفر لنا ولكم، وأن يُحسِّنا مقاصدنا ومقاصدكم، ونياتنا ونياتكم، وأن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم وأن يُعلِّمَنَا عقيدتنا التي ننتفع بها والتي نلقى الله عليها، وأن يوفقنا وإيّاكم لكلِّ خير.

وصلى الله على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين...

هذا والله أعلم...